مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 18 عدد: 01 أوت 2022
العنوان: فيكتور سبيلمان وقضايا الجزائريين... ص.ص *893*- 912.

فيكتور سبيلمان وقضايا الجزائريين 1866-1938

صبرينة الواعر
المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار-قسنطينة-
Louaar.sabrina@ensc.dz
تاريخ الإرسال: 2020/11/09؛ تاريخ القبول: 2021/05/27

Victor Spielmann and Algerian Issues 1866-1938

Sabrina Louaar

Abstract:

This study seeks to highlight the activity of the French who support the Algerian issue during the colonial period, we chose Victor Spielmann, the illustrious journalist who faced the French administration with its flagrant crimes against the Algerians and as a detective of the Colon barbarism that controlled most of the Algerian lands. Victor Spielmann was interested in identifying the issues that preoccupied Algerians' thinking, notably the Indigénat Law, as well as land confiscation, representation in election councils, and publishing numerous articles in various newspapers, until he founded his newspaper Trait d'union in 1926, and Tribune Indigène in 1927. Spielmann managed to bring the Algerian intellectual elite to his class and make many friendships, the most important of which was with l'Emir Khaled, who was appointed as the editor-in-chief of l'Ikdam newspaper, and entrusted him with releasing his speeches, He continued to defend her cases until his death in 1938.

key words: Victor Spielmann; Colon; Conscription; Land confiscation; Newspapers.

الملخص:

تسعى هذه الدراسة لتسليط الضوء على نشاط الفرنسيين المساندين لقضايا الجزائريين خلال الفترة الاستعمارية، وقد وقع اختيارنا على فيكتور سبيلمان الصحفي اللامع الذي واجه الإدارة الفرنسية فاضحا جرائمها في حق الجزائيين، وكاشفا همجية الكولون الذين سيطروا

على أغلب أراضي الجزائريين ومارسوا جميع أصناف العنصرية تجاههم. اهتم فيكتور سبيلمان بالتعريف بالمسائل والقضايا التي شغلت فكر الجزائريين وقتها، وفي مقدمتها قانون الأنديجيا البغيض وجملة القوانين الاستثنائية التي قيدت حرياتهم، وكذا مصادرة الأراضي، والتمثيل في المجالس الانتخابية، ونشر مقالات عديدة في جرائد متنوعة، إلى أن أسس جريدتيه لوتري دونيون سنة 1926، ولاتريبون أنديجان سنة 1927، وكان يقوم بانتقاد رجال السياسة الفرنسيين وبخاصة نواب البرلمان، وقد استطاع سبيلمان بمواقفه المناصرة للجزائريين جلب النخبة المثقفة الجزائرية إلى صفه، وكوّن صداقات كثيرة، كانت أهمها مع الأمير خالد الذي عينه رئيس تحرير لجريدة الإقدام، وأوكل له أمر تحرير خطاباته، كما رحبت به مختلف الأطياف السياسية والإصلاحية في الجزائر، والتي ظل يدافع عن قضاياها إلى وفاته سنة 1938.

الكلمات المفتاحية: فيكتور سبيلمان؛ الكولون؛ التجنيد الإجباري؛ صحافة؛ مصادرة الأراضي.

مقدمة:

ولدت العنصرية التي مارسها الكولون ضد الجزائريين منذ بدايات الاحتلال حقدا دفينا ليس لدى الجزائريين فقط بل حتى في أوساط الغالبية الأخرى من الفرنسيين والأوروبيين الذي استقروا بالجزائر في فترة متأخرة ولم يمتلكوا على غرارهم الأراضي الزراعية، فكان هذا مؤشرا لبداية المواجهة بين أنصار الاستعمار غير المحدود، والذين يوصفون بالكولونياليين "les Colonistes"، والمرعوبين من العرب"les Arabophobes"، وبين المدافعين عن حقوق وملكيات الأهالي، ويوصفون بأعداء الكولون" Anticolonistes "، ومحبي العرب " les Arabophiles " .

لعب محبو العرب " les Arabophiles " أو أصدقاء الأهالي كما يحلو للبعض تسميتهم دورا بارزا في الدفاع عن قضايا الجزائريين، وهذا منذ أواخر القرن التاسع عشر، وكانت الصحافة سلاحهم

الأساسي في مواجهة الإدارة الفرنسية والكولون، بالإضافة إلى مناصبهم الإدارية. نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، فيكتور باروكان" Victor Barrucand" صاحب جريدة الأخبار" l'Akhbar " (Christine Drouot, Olivier Vergniot, 1984: 31-36) وألبين روزيت "Albin Rozet"، الذي طالب بإلغاء قانون الاعتقال والقوانين الاستثنائية، واشتهر عند الجزائريين بعلي بن روزي (Sylvit Thénault, 2012: 93) وجون ميليا " Jean Melia " ، الذي كان يشغل منصب رئيس المجلس العمومي le Conseil Général، ورئيس لجنة الدفاع عن الأهالي(René Gallissot, 2010: 01). وفيكتور سبيلمان "Victor Spielmann"، الذي كان يعرف نفسه على الدوام بالقول ابن كولون سابق. هذا الأخير هو الذي سنخصه بهذه الدراسة، فيا ترى من هو فيكتور سبيلمان، وما هي الظروف التي جعلته يتبنى الدفاع عن قضايا الجزائريين؟

وقد قسمنا العمل وفق الخطة الآتية:

1- فيكتور سبيلمان؛ المولد والنشأة
2- نشاطات فيكتور سبيلمان في إقامته ببرج بوعريريج 1897-1919
3- أهم مواقف فيكتور سبيلمان السياسية
   3-1- موقفه من التجنيد الإجباري
   3-2- المواطنة والحقوق السياسية للجزائريين
   3-3- مصادرة أراضي الجزائريين

فيكتور سبيلمان المولد والنشأة:

ولد فيكتور سبيلمان Victor Speilmann بتاريخ 10 نوفمبر 1866، ببلدة برقهايم Bergheim بمقاطعة اللورين Haut Rhin الفرنسية، وتوفي بالجزائر العاصمة سنة 1938. قدم فيكتور سبيلمان إلى الجزائر رفقة عائلته سنة 1866، وكان عمره وقتئذ 11 سنة، تحصل والده على قطعة أرض صغيرة بمنطقة برج بوعريريج، لكنه عاش حياة صعبة على غرار عدد كبير من صغار الكولون، والتي

لخصها فيكتور بقوله: « كولون محطم ابن كولون محطم ». (René Gallissot, 2010: 01)

لم توفق عائلة سبيلمان في تحقيق ثروة وأعلنت إفلاسها، وقد نشرت جريدة "بروقري دوستيف" "le progrès de Setif" بتاريخ 07 فيفري 1897 إعلانا خاصا بحجز عقارات ملك للوالد سبيلمان، ويتعلق الأمر بمنزل وحديقة، وأرض فلاحية، وتم بيعها في مزاد علني بـــ4000 فرنك فرنسي. (René Gallissot, 2010: 01)

لم يكن مصير فيكتور مثل أبيه، فقد انتقل للعيش بالجزائر العاصمة سنة 1919، وكان وقتها قد حقق رخاء اقتصاديا، أوضحته تقارير الشرطة الفرنسية، حيث اشترى فيلا بالجزائر العاصمة، وحافظ على ممتلكاته في برج بوعريريج والتي قدرت بـ 6000 فرنك.

نشاطات فيكتور سبيلمان في إقامته ببرج بوعريريج 1897-1919:

زاول فيكتور سبيلمان مهنا عديدة من بينها إسكافي، ثم توجه إلى العمل التجاري، ولمع كتاجر للمواد الغذائية، وفي سنة 1907 عين سكرتيرا لوكالة سياحية، والواقع أن سبيلمان قد عرف منذ 1897م بنشاطه الصحفي في الصحافة المحلية؛ فقد تولى منصب سكرتير تحرير جريدة "موريسان" " Morissane " ببرج بوعريريج، والتي كانت تعد لسان حال مصالح الكتلة الفرنسية المعادية لليهود.

(René Gallissot, 2010: 01)

كان فيكتور سبيلمان ممثلا للحزب الراديكالي في منطقة برج بوعريريج، وقد ساهم بمقالات عديدة في جرائد راديكالية عرفت بطابعها السياسي المستنكر لسياسات الإدارة الفرنسية، مثل جريدة "لاريبيبليك دو كونسطنتين" "la République de Constantine "، "لافونير دو سطيف" "l'Avenir de Sétif"، " لوبروقري دو سطيف" " le Progrès de Sétif"، " لي زانال أفريكان" " les Annales africaines"، بالإضافة إلى جرائد محلية أخرى نذكر منها

"لوكري دي أوبلاطو" " le Cri du Hauts Plateaux" " ليكو عين تاقروث" " l'Echo d'ain Tagrout"، و"لافونير دو برج بوعريريج"" l'Avenir de Bordj Bou Arreridj" (Gilbert Meynier, 2017:p 66).

كما ساهم فيكتور سبيلمان في العمل النقابي بانتمائه إلى نقابات عديدة مثل النقابة الزراعية، المكتبة الشعبية (أنظر التعليق رقم 1) ، الجمعية التضامنية، ويتامى الشعب (Gilbert Meynier, 2017: 66).

وصف رينيه قاليسو René Gallissot توجهات سبيلمان قائلا: « اتسمت توجهات سبيلمان الراديكالية بالجهوية والتطرف، كما أنها توجهات يسارية لا تؤمن بالنظام، فنجده يدافع عن صغار الكولون ضد الكبار منهم، وقد استهل نشاطه بصغار الكولون، وقام بشجب فضائع الاستعمار» (René Gallissot, 2010: 01)

ترشح فيكتور سبيلمان بتاريخ 26 جوان 1910 في قائمة المعارضة للمجلس العمومي le Conseil Général وفشل في الحصول على مقعد، لكنه وفق سنة 1912 في الانتخابات البلدية ببرج بوعريريج وتحصل على مقعد مستشار في المجلس البلدي. (Victor (Spielmann, 1910: 254

واصل فيكتور سبيلمان نشاطه الصحفي، حيث نشر بين سنتي 1911 و1912 مقالات بجريدة "لوكري دالجري" " le Cri d'Algérie"، التي كان يرأس تحريرها السيد غاستون فيليوبير Gaston Vulpillères. (Victor Spielmann, 1910: 254)

تميزت مواقف سبيلمان في جريدة "le Cri d'Algérie" على غرار رئيس تحريرها بعدائه للكولون والرأسماليين، واتضح جليا أنه ضد الاستعمار، لكنه لم يركز على الاستعمار بقدر ما اهتم بمهاجمة سماسرته، حيث دعا إلى النضال الاجتماعي ضد كبار الكولون، والمجتمعات الرأسمالية. واعتبر سبيلمان صغار الكولون وصغار الفلاحين من الأهالي إخوان بؤس، كما تعرض لكبار الملاك من عائلات الإقليم القسنطيني، مثل بوضياف، ابن ضيف، ابن قانة، ظف

إلى ذلك قامت الجريدة بانتقاد الإدارة الرأسمالية التي كان يرأسها وقتئذ الحاكم العام جونار Jonnart . (Gilbert Meynier, 2017: 66)

أما فيما يخص القضايا التي تتعلق بحركة الشبان الجزائريين، فقد اتسم موقف جريدة "le Cri d'Algérie" في بداية الأمر بعدم الثقة في هذه الفئة البرجوازية المفرنسة، لكن سرعان ما غيرت الجريدة موقفها تجاههم مع إعلان الحكومة الفرنسية عن قانون التجنيد الإجباري.

ومن هنا تبدأ مرحلة أخرى جديدة في حياة فيكتور سبيلمان والتي تميزت بكتاباته الداعمة للمسائل الأهلية، في الصحف الفرنسية والأهلية على حد سواء، واهتم أكثر بالقضايا المتعلقة بالجزائريين، وبرز ذلك بمساهماته الصحفية في صحافة الشبان الجزائريين، كجريدة "الهلال" بالجزائر العاصمة (أنظر التعليق رقم 2) (محمد ناصر، 2006: 32-33)، و"الإسلام" بعنابة (أنظر التعليق رقم 3). (محمد ناصر، 2006: 32-33)

أهم مواقف فيكتور سبيلمان السياسية:

ظل النشاط الصحفي السمة الغالبة في نشاطات سبيلمان، واتضح توجهه السياسي بانتسابه إلى الحزب الشيوعي، ومشاركته في حركة الأمير خالد، حيث أبرز سبيلمان اهتماما بنشاطات الشبان الجزائريين، كما نظم حملات تواصل مع الشباب الشيوعي، وترجم أنشطته في صحافة التيارين، أحيانا في جريدة "الإقدام" للأمير خالد، وجريدة " l'éveil de l'islam" بعنابة، وأحيانا أخرى في جريدة" la lutte sociale" الشيوعية. (René Gallissot, 2010: 01)

كان سبيلمان متأثرا بشدة بالشيوعية، حتى أنه كتب سنة 1923 قائلا: « الجزائر في سنة 1950 لن تكون لا عربية، ولا فرنسية، ستكون جمهورية للعمال المتحدين دون تمييز عرقي، ستكون جزءً مدمجا في الكونفدرالية العالمية للجمهوريات السوفياتية »(Victor . (Spielmann, 1923: 02

ورغم الميولات اليسارية لفيكتور سبيلمان إلاّ أنه قرر الاستقالة من الحزب الشيوعي سنة 1926 بعدما اكتشف وجود عناصر داخل الحزب تسعى لتحريض الجزائريين للقيام بالثورة على غرار ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي في المغرب (Clair Maryonower, 2013:251). بعدها ازداد تقرب سبيلمان من النخبة الجزائرية المثقفة وفي مقدمتها الأمير خالد، الذي عينه مسؤولا التحرير للقسم الفرنسي لجريدة الإقدام (Charles Robert Ageron, 1966: 25).

كما أشرف سبيلمان على خطابات الأمير خالد خاصة بعد نفيه 1923 (Gilber Meynier, 2010: 66)، وقام بنشرها في جريدته "تري دونيون" " le trait d'union " التي أسسها سنة 1926 .

ناقش فيكتور سبيلمان معظم المسائل التي كانت تثقل كاهل الجزائريين، وحاول إيصال الحقائق للمسؤولين الفرنسيين، فالمتصفح لمقالاته في جريدة الإقدام – على سبيل المثال لا الحصر- يجده يعرض خطابات ومداخلات النواب الفرنسيين في مختلف المجالس، ثم يرد عليها فقرة بفقرة مبرزا الفارق بين ما يقولونه وبين ما يعيشه الأهلي الجزائري.

وفيما يلي عرض لأهم مواقفه المتعلقة بالقضايا الأهلية:

موقفه من التجنيد الإجباري:

أبدى فيكتور سبيلمان رفضه الشديد لسياسة الإدارة الفرنسية، وفرضها الخدمة العسكرية الإجبارية على الجزائريين وفق قانون فيفري 1912 ودون أي تعويض يذكر، واعتبر هذا الأمر فضيحة، واستغرب فيكتور سبيلمان سن الإدارة الفرنسية للتجنيد الإجباري في ذلك الوقت بالذات والاضطرابات الناجمة عن الهجرة الجماعية إلى سوريا سنة 1911 لم تكن قد هدأت بعد.(Victor Spielmann, 1912: 03)

وحول هذا الشأن كتب قائلا: « عانينا نحن الألزاسيون من السلب والمضايقات، وكنا ضحايا الألمان، ماذا يقول الأهالي مواطنو الجزائر الذين سلبوا بحجة الثورات آلاف الهكتارات من أجود الأراضي، والتي اعتبرت غنيمة حرب. لقد فرح الألمان سنة 1870 بالتعويضات وبجزء من أراضينا، لهذا السبب أنا أستنكر كل هذه المظالم التي

يتعرض لها الأهالي، كيف تجدون الأمر طبيعيا مع كل عمليات سلب ونهب الأراضي؛ تنادون أبناء الأهالي تحت راياتكم مدة ثلاثة سنوات، عوض سنتين مثلنا، ودون أي مقابل؟ ضع نفسك مكانه، وقل لي صراحة ماذا تفعل بالسلاح الذي يعهد به إليك ناهبك؟ يجب أن تكون أحمقا حتى لا ترى إلى أين نحن ذاهبون.» (Victor Spielmann, 1912: 01)

وأردف سبيلمان قائلا: « إذا طالبت بتعويضات، فلا أقصد بذلك ورقة الانتخاب، لأننا نحن أنفسنا لم ننضج بعد لاستعمالها بالشكل الصحيح، إنما أطالب بتحررهم المدني (الأهالي) حتى يتخلصون من معذبيهم الإداريين» .(Victor Spielmann, 1912: 01)

شغلت مسألة التجنيد الإجباري للجزائريين حيزا كبيرا في كتابات فيكتور سبيلمان وبخاصة في جريدة الإقدام للأمير خالد، والتي كان يكتب فيها باستمرار بين سنتي1921-1922، وقد أوضح سبيلمان للإدارة الفرنسية أن فرض مثل هذه القوانين على الجزائريين مرفوض، فهم يتخبطون في مشاكل اجتماعية واقتصادية، وإقصاء سياسي من طرفها. لذلك طالب وعلى غرار النخبة السياسية الجزائرية في ذلك الوقت، بتحسين أوضاع الجزائريين وفك الغبن عنهم مقابل تجنيدهم، ومما قاله وقتئذ: « من مصلحتنا، ومن مصلحة فرنسا إذا استوعبت الأمر؛ أن تعيش بذكاء مع الأهالي، لأنه في كل ميادين الأنشطة في مستعمرتنا يقدمون لنا المساعدة بتفان، ودون مقابل على الدوام. لذلك توجب علينا رفع البؤس والمشاكل الاجتماعية عنهم، والتي يعانون منها لحد الساعة...لماذا ترغمون الأهالي على التجنيد بالقوة، هذا الأمر وحد بين مختلف الجزائريين، تفرضون عليهم ثلاثة سنوات بدل سنتين مثل الفرنسيين والإسرائليين، والإيطاليين، والأسبان، وآخرين، دون منحهم تعويضا عادلا». (Victor Spielmann, 1921: 01)

اعتبر فيكتور سبيلمان الجزائري مواطنا فرنسيا يحق له التمتع بكافة الحقوق السياسية والمدنية التي يتمتع بها الفرنسيون في الجزائر، لذلك حين فرضت الحكومة الفرنسية قانون التجنيد على الجزائريين، استنكر هذا الأمر وواجهها بسياستها المتناقضة قائلا: « الغريب في

الأمر أن من قالت عنهم الإدارة الفرنسية أنهم لا يتمتعون بالوعي والنضج الكافي للتمثيل النيابي، تقبل بهم للدفاع عنها في جبهات القتال». (Victor Spielmann, 1922: 01)

عايش فيكتور سبيلمان ظروف الحرب العالمية الأولى، ولاحظ موجة الغضب والسخط التي أبداها الجزائريون لقاء معاملة الإدارة الفرنسية لهم، واستوعب نفورهم وهجرتهم وبخاصة سكان باتنة ونواحيها، حيث قال: « أبعد هذا القمع يحب الشاوية فرنسا ! قامت فرنسا بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى بدعوة 3655 مجند للتسجيل في دائرة باتنة، التحق منهم 1366 بجبهات القتال أواخر 1917، لقد قرر السكان الابتعاد عنا أكثر من أي وقت مضى».
(Charles Robert Ageron, 2005:1154)

وبالفعل قرر آلاف الجزائريين الهجرة خارج الجزائر هروبا من ظلم السلطة الاستعمارية وقانون التجنيد على الخصوص، الذي يلزمهم تسليم أولادهم ذوي ثمانية عشر عاما لها، وانتشرت العرائض الموقعة من طرف الجزائريين بمختلف شرائحهم رفضا للتجنيد الإجباري، ومن بينها عريضة سكان مجانة ببرج بوعريريج الموجهة للحاكم العام والتي حرروها بتاريخ 01 ماي 1912 وسلموها لفيكتور سبيلمان، وهو بدوره قدمها لمدير مجلة الأنديجان الذي قام بنشرها.
(Chronique de la politique Indigène ; Algérie, 1912 : 388)

عبر السكان في العريضة عن سخطهم لفرض التجنيد الإجباري، وطالبوا فيها بمنحهم الحقوق السياسية ذاتها التي يتمتع بها الفرنسيون، كما طالبوا من وجهة نظر عامة بإلغاء قانون الأنديجينا الذي اضطهدهم. (Chronique de la politique Indigène ; Algérie, 1912: 389)

أوضح سبيلمان أن الجزائريين كانوا يعيشون حياة بؤس وشقاء وليس كما تدعي الإدارة الفرنسية أنهم في رغد وهناء، وبين بالحجة الأسباب التي دفعت سكان البرج على غرار باقي الأقاليم للهجرة الجماعية إلى سوريا على وجه الخصوص حتى قبل سن قانون التجنيد الإجباري، وقدم إحصاءات عن العائلات التي غادرت إقليم برج بوعريريج وهي كالآتي: (Paul Bourdarie, 1910: 556)

- سدراته: 15 عائلة، حوالي 100 فرد

- زمورة: 07 عائلات
- مجانة: عائلة واحدة
- معاضيد: 04 عائلات
- المجموع: 27 عائلة من منطقة برج بوعريريج

وقد نشر فيكتور سبيلمان تقريرا شاملا حول أسباب هجرة الجزائريين إلى الخارج، وفيما يلي أهم ما جاء فيه:
(Victor Spielmann, 1910: 393-394)

- مصادرة الأراضي: فأجود الأراضي تم مسحها من قبل الإدارة الفرنسية، لتسلمها للكولون، وطردت السكان إلى الجبال حيث الأراضي أقل خصوبة.
- الضرائب الباهظة: في الماضي، حين كان للأهالي الأراضي الخصبة، كانوا يدفعون 30 فرنك فقط للمحراث، أما اليوم مع الأراضي الفقيرة، تراجعت ثرواتهم، في الوقت الذي فرض عليهم الجباة ضرائب أكثر ومضاعفة، كما ينبغي أن نضع في الحسبان أن الضرائب على المحاريث، وقطعان الثيران والأغنام تخضع لهوى القايد الذي قد يزيد أو ينقص من قيمتها تبعا لملكيتها لأعدائه أو لأصدقائه، وفي الغالب هو الذي يسيء للفلاحين الأهالي الذين لا حول ولا قوة لهم ، لذلك وجب تخفيض الضرائب الأهلية.
- قانون الأنديجينا: يتساءل الأهالي لماذا يعاملون بطريقة استثنائية، أو بالأحرى كمجرمين، التكاليف القانونية باهظة، ولا تخضع لرقابة سلطات الإداريين، ففي الغالب؛ يعتمد الموظفون على تقارير القياد الخاطئة في تطبيق الغرامات، أو السجن، أو عمل السخرة، وأحيانا يفرضون عقوبات لا تتناسب مع الجرم عندما تكون الجريمة قد وقعت بالفعل .
- التجنيد الإجباري: رفض الأهالي تطبيق هذا القانون دون منحهم تعويضات بدل ذلك.
- رخصة التنقل: في غالب الأحيان يمنع التجار والسكان من إتمام أعمالهم، في حين يفتح المجال أمام المشردين، لذلك وجب منح رخصة لكل من يحمل صحيفة سوابق بيضاء.

- تلقيح النساء: أن السكان أبدوا امتعاضهم من وجود أطباء وأعوان إداريين من الرجال، لذلك طالبوا بقابلات وطبيبات لفحص نسائهم.
- الغابة المغلقة والقمع القاسي: كان الجزائريون يرسلون قطعان ماشيتهم إلى الغابة للرعي، كما يستفيدون من حطب أشجارها الميتة، لكن مع سيطرة الإدارة الفرنسية على الأراضي المشاع وبيع أغلبها، منع الجزائريون من رعي أغنامهم في الغابة وحرموا من التزود بالحطب، ومن يفعل عكس ذلك تفرض عليه غرامات ثقيلة، ومنهم من دخل السجن، وهذا سيؤدي بالتأكيد إلى انخفاض رؤوس أغنامهم.

ربط فيكتور سبيلمان رفض الجزائريين للتجنيد الإجباري بظروفهم الاقتصادية والاجتماعية، وهذا ما اتضح في مختلف تدخلاته حول هذه المسألة، وتحليله قائم على توجهه اليساري، فقد كان من نشطاء النقابات الشيوعية في الجزائر لكنه لم يركز على حقيقة أن الجزائريين رفضوا التجنيد الإجباري، وقرار نسبة كبيرة منهم بالهجرة كان بسبب ذلك لا غير.

ونجده يؤكد على مسألة رفع الأجور، وتحسين مستواهم الاجتماعي، ولا يتحدث عن منحهم الحقوق السياسية، وإن كان قد طالب بها ولكن في إطار ضيق حين يتحدث عن الوفاق والاتحاد بين العرقين الفرنسي والجزائري (Victor Spielmann, 1912: 01) مقارنة مع القضايا الاجتماعية والاقتصادية، حتى أواخر العشرينيات أين بدأ يصرح بحق الجزائريين في التحرر.

المواطنة والحقوق السياسية للجزائريين:

طالب فيكتور سبيلمان بضرورة استفادة الجزائريين من نظام تجنيس جديد لا يلزمهم التنازل عن أحوالهم الشخصية الإسلامية، والجزائريون في الأصل حسب نظرة فيكتور سبيلمان لديهم جنسية فرنسية، وهذه الجنسية تمنحهم صفة المواطن الفرنسي. (Victor Spielmann, 1922: 01)

يقصد سبيلمان بذلك أن الجزائري خاضع للقانون الفرنسي، وبالتالي يأخذ صفة المواطنة آليا، ولا نستغرب هذا لأن الاستعمار في

فكر سبيلمان إذا لم يكن هدفه رفع كرامة وأخلاق ورفاهية الشعوب الخاضعة له، فهو عمل قاسي ووحشي. (Victor Spielmann, 1930: 06)

كما دعا فيكتور سبيلمان إلى الوفاق بين الجزائريين والفرنسيين، والإشادة بالاندماج فيما بينهما بدل إذكاء نار الكراهية، لأن المصالح مشتركة بينهما(Victor Spielmann, 1922: 01)، كما أوضح سعيه لإقناع بعض الساسة الجزائريين بفكرة الوفاق.

وقد اتضح قرب سبيلمان من الأمير خالد، الذي سعى بدوره إلى تأسيس جمعية الأخوة الجزائرية، والتي لاقت دعما من التيار الشيوعي الفرنسي(René Gallissot, 2010: 05). أيد فيكتور سبيلمان الأمير خالد في سعيه من أجل حصول الجزائريين على حقوقهم السياسية، وأعجب بدوره في المجالس الانتخابية، حيث صرح قائلا: «منذ خمسين سنة وأنا أدرس المسألة الأهلية، لم أعرف سوى ممثل وحيد للنواب الأهالي يستحق الذكر، هو الأمير خالد، وبسبب ذلك تعرض للسجن والنفي الذي مزال يعاني منه » (Victor Spielmann, 1930: 23).

أوضح فيكتور سبيلمان أن منح الحقوق السياسية للجزائريين يكون بإعادة تشكيل نظام الجماعة، وبعدها تشكيل هيئة انتخابية للأهالي في انتخابات المجالس البلدية، والعمومية، وفي اللجان المالية. (Victor Spielmann, 1930: 22)

التقى مطلب فيكتور سبيلمان مع مطالب الجزائريين المتعلقة بتوسيع دائرة الانتخاب ومنحهم مقاعد أكثر داخل المجالس الانتخابية. كما تحدث عن جماعة بني وي وي، وهم نواب يمثلون الأهالي تمثيلا شكليا وصوريا، ويوافقون على اقتراحات الكولون والإدارة الفرنسية، حتى وإن لم تخدم الجزائريين وتصب في مصلحتهم. وهم بمثابة عبيد لدى الكولون الذين يشكلون أغلبية في المجالس الانتخابية.

(Victor Spielmann, 1922: 01)

ولم يسلم من انتقاد سبيلمان النواب المثقفون كذلك، ومن بينهم الدكتور ابن التهامي الذي قال في شأنه: «النواب الأهالي لم يحتجوا مطلقا، الدكتور ابن التهامي الشهير، المستشار العام ومدير جريدة، والذي كان راضيا بالمطالبة بالمساواة في الواجبات بين الأهالي والفرنسيين، ينسى على الدوام حقوقهم». (Victor Spielmann, 1930: 21)

أبدى فيكتور سبيلمان مساندته الصريحة للأمير خالد، حتى بعد نفيه، وتعيينه رئيسا شرفيا لنجم شمال إفريقيا، وأيد مطالبه الموجهة لرئيس الحكومة الفرنسي إدوارد هيريو Edouard Herriot سنة 1924 وقام بنشرها في جريدته "لوتري دونيون" "le Trait d'union " بعنوان " أوضاع مسلمي الجزائر " والتي جاء فيها: (Victor Spielmann, 1927: 02)

1- تمثيل متساو في البرلمان الجزائري
2- إلغاء القوانين الاستثنائية والمحاكم الزجرية والرادعة، وإلغاء الرقابة الإدارية، والعودة إلى الحقوق المشتركة
3- التمتع بكافة الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون فيما يتعلق بالخدمة العسكرية
4- منح الأهالي كل الرتب المدنية والعسكرية دون تمييز آخر غير الجدارة ، والقدرة الشخصية
5- تطبيق إجبارية التعليم للأهلي، وحريته
6- حرية الصحافة والجمعيات
7- تطبيق الشريعة الإسلامية في إطار فصل الدين عن الدولة
8- العفو العام
9- تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية على الأهالي الجزائريين
10- حرية العمال الأهالي بمختلف أصنافهم في السفر إلى فرنسا

كما لاقت مطالب فيدرالية النواب الأهالي سنة 1927 تأييد فيكتور سبيلمان، لكنه لم يخفي تفضيله لمطالب الأمير خالد التي عرضها بباريس سنة 1924، وأوضح أن سبيل نجاح مساعي فديرالية النواب يكون بإخلاصهم لمبادئهم، واتحادهم لتحويل مواقفهم إلى

أفعال، وأن مطالبهم وإن كانت معتدلة فهي تحمل الأمل في التحرر. (Victor Spielmann, 1927: 02)

وفيما يلي مطالب فيدرالية النواب الأهالي التي نشرها فيكتور سبيلمان وتمنى تحقيقها: (Victor Spielmann, 1927: 02)

1- تمثيل الأهالي في البرلمان
2- المساواة في الخدمة العسكرية
3- المساواة في الأجور والتعويضات في الوظائف الإدارية الموكلة للأوروبيين والأهالي على حد سواء
4- إزالة الإجراءات المفروضة على العمال الأهالي المسافرين إلى أوروبا
5- إلغاء قانون الأهالي
6- تنمية التعليم والتعليم المهني للأهالي
7- تطبيق القوانين الاجتماعية في الجزائر

إن تفضيل سبيلمان لمطالب الأمير خالد على حساب مطالب فديرالية النواب الأهالي على الرغم من تقاربهما، نابع من كون أن الأمير خالد كان قد حدد مساره واتضح أنه مع فكرة تحرر الجزائر، وتعيينه رئيسا شرفيا لنجم شمال إفريقيا يؤكد ذلك. في حين فديرالية النواب لم تتوحد كلمتها بعد بسبب الخلافات القائمة حول مسألة التجنس والاندماج.

أكد سبيلمان على أن الأمير خالد كان يؤمن بقضية تحرر الجزائريين، ولم يكن فكره اندماجيا كما يعتقد البعض، وبعد وفاة الأمير خالد نشر سبيلمان مقالا تأبينيا أعاد فيه طرح أهم مطالب الأمير ودعا النخبة المثقفة الجزائرية للالتفاف حولها. (Victor Spielmann, 1936: 1)

مصادرة أراضي الجزائريين:

قد نستغرب أن يطالب أحد أبناء الكولون بفك الغبن عن الجزائريين وفضح عمليات حصر الأراضي التي قامت بها الإدارة

الفرنسية منذ بدايات الاحتلال وأكدتها بالسيناتوس كونسيلت 1863، الذي فتت القبيلة الجزائرية وقسمها إلى قرى ودواوير. لكن سرعان ما يزول الاستغراب حين يتحدث فيكتور سبيلمان عن عائلته وكيف نشأت في برج بوعريريج قائلا: « منح المستوطنون الألزاس بين40 إلى 50 هكتار من الأراضي للفرد الواحد، أما الموجة الثانية لهجرة الألزاسيين نحو الجزائر فكانت سنة 1875، وقد فرض على هؤلاء تشييد بنايات من مالهم الخاص تتروح قيمتها من 8000 إلى 10000 فرنك، وهم لم يكونوا أهل ثراء ». (Victor Spielmann, 1921; 01)

كان والد فيكتور سبيلمان ممن فرض عليهم هذا الالتزام، وسرعان ما فشل الأب في تحقيق ثروة، وأعلن إفلاسه على خلاف كولون آخرين تمتعوا برخاء اقتصادي وشكلوا ما يشبه إقطاعات العصور الوسطى. هذه التفرقة في توزيع الممتلكات بين الكولون رفضها فيكتور سبيلمان وكشفها في الصحف الكولونيالية، وطالب بمنح الكولون 100 هكتار بدل 40 (Victor Spielmann, 1921: 01) ، لكنه سرعان ما وجه أنظاره صوب الجزائريين ملاك الأراضي الأصليين، فتحول من مهاجم لكبار الكولون إلى مدافع عن الجزائريين ومهاجم لسياسة مصادرة الأراضي التي تتبناها الإدارة الفرنسية، وكشف نهبها للقبائل الجزائرية، مركزا على منطقة مجانة التي صودر فيها أزيد من 50000 هكتار من الأراضي، بعد القضاء على مقاومة المقراني سنة 1871، وسجن ونفي وتغريم الأهالي هناك، وإجبار المتبقين على النزوح إلى مناطق أخرى، نحو أراضي غير صالحة للزراعة. (Victor Spielmann, 1921: 02)

أكد سبيلمان على مسعى الإدارة الفرنسية لخدمة الكولون، وذلك من خلال مواصلتها لعمليات حصر الأراضي، والقيام بين الفينة والأخرى بتحقيقات مفبركة بإيعاز من الكولون الذين يهدفون لزيادة مساحات أراضيهم على حساب ملكيات الفلاحين الجزائريين البسطاء، واستغرب سبيلمان أن مثل هذه العمليات استمرت إلى سنة 1930، كالذي حدث لأولاد ذياب بعنابة الذين اقتطع 705 هكتار من أراضيهم لصالح "باري دو بوهر" "Barris du Peuher" نائب رئيس المجلس

الأعلى، الذي قام بقمع الفلاحين بتآمر من الإدارة المحلية، من موظفي البلدية والأعوان الأهالي (Victor Spielmann, 1930: 03)، وتم إرسال جماعة أولاد ذياب إلى الجزائر العاصمة كمحاولة لإرغامهم على قبول نهب أراضيهم، ومثولهم أمام المحكمة الاستثنائية لمجلس الحكومة برئاسة "فيوليت" " Violette" أين حوكموا في جلسة مغلقة، ودون شهود. (Victor Spielmann, 1930: 11)

كان كشف سبيلمان لهذه الفضيحة كما أسماها سببا في متابعة الإدارة الفرنسية له وتضييق الخناق على جرائده حيث صدر أمر بإيقاف طبع جريدته "لاتريبون انديجان" "la Tribune Indigène" التي أسسها سنة 1927 من طرف السلطات الفرنسية (X, 1932: 76) في الوقت الذي صمت فيه النواب الأهالي ولم يحركوا ساكنين، ويبدو أن سبيلمان كان حاقدا على ابن التهامي، لأنه كان يذكر اسمه في كل مرة يتحدث فيها عن سلبية التمثيل الجزائري في المجالس الانتخابية. (Victor Spielmann, 1930: 11)

لذلك طالب سبيلمان بفك الغبن عن الفلاحين الجزائريين والتقليل من حالة الفقر التي يعيشونها، بمنحهم ذات الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون في الجزائر، وفي مقدمتها الراتب المحترم، وليس راتبا زهيدا لا يكفيهم سد رمقهم، رغم تعبهم في مزارع الكولون ولدى صناع الخمور الذين حققوا ثراء فاحشا على حسابهم، كما يتوجب على الإدارة الفرنسية رفع البؤس عن العمال الجزائريين والتقليل من مشاكلهم الاجتماعية، وأن تمنحهم تعليما تطبيقيا يسمح لهم بمواجهة مصاعب الحياة. (Victor Spielmann, 1921: 02)

وقدم فيكتور سبيلمان حلولا للإدارة الفرنسية قصد تحسين وضع الفلاحين والعمال الجزائريين تقوم على: (Victor Spielmann, 1936: 02)

1- تنظيم القرض الزراعي والتجاري للجزائريين.
2- تأسيس لجنة بباريس تعنى باستقبال رغبات الأهالي المؤهلين لأخذ القرض.

وحسب سبيلمان فإنّ القرض الزراعي سيعود بالفائدة على القلة المتبقية من الفلاحين الجزائريين الذين يمتلكون أراضي فقيرة تحتاج إلى إعادة تهيئة وإنعاش من ناحية الري، وكذا الحصول على المعدات المتطورة، والبذور المختارة للزرع، وامتلاك بعض رؤوس الماشية. لكن الملايين التي تنفق بوفرة لإقامة السدود من أجل سقي الأراضي، يستبد بها الكولون وأصحاب الملكيات الكبرى من الأهالي، والقرض الزراعي يؤول لهم دون غيرهم. (Victor Spielmann, 1930 : 12)

الخاتمة

ارتقت صورة فيكتور سبيلمان لدى رجال السياسة الجزائريين، وحتى خارج الجزائر، ولعل أجمل شهادة قيلت في حقه كانت كلام شكيب أرسلان في جريدته "لاناسيون أراب" "la Nation Arabe" (أنظر التعليق رقم 4) سنة 1937، والذي خصه بمقال بعنوان "فيكتور سبيلمان" " V. Spielmann" ، وصفه فيه بالملاك الحارس للشعب الجزائري. (Shakib Arslan, 1937: 14-15)

آمن فيكتور سبيلمان بفكرة الوفاق بين الجزائريين والفرنسيين، دون نسيان هوية الجزائريين الإسلامية، وركز على ذلك طيلة مشواره السياسي والنضالي، لكن مع بدايات العشرينيات من القرن العشرين، وبالضبط بعد نفي الأمير خالد سنة 1923، اقتنع سبيلمان بأن الوفاق وحده ليس كافيا لتحقيق العدالة الاجتماعية التي ينشدها، ذلك أن السلطة الاستعمارية استخدمت كافة السبل لجعل الجزائري مواطنا من الدرجة الثانية، فأعلن صراحة أنه مع فكرة تحرر الجزائريين من قيودهم، وأن ذلك لن يتحقق إلا باتحاد مختلف أطيافهم خدمة للهدف الأساسي وهو انتصارهم على الاستعمار.

التعليقات:

التعليق رقم 1: المكتبة الشعبية موجهة أساسا إلى الشعب، ولكن المعاني والدلالات المختلفة لكلمة شعب ساهمت في عدم الثقة والسخط لهذا النوع من المكتبات في القرن العشرين. للمزيد ينظر:

Bibliothèques populaires, In http://www.enssib.fr/le-dictionnaire/bibliotheques-populaires.17/12/2014.

التعليق رقم 2: جريدة الهلال 1906-1907، برزت في شهر أكتوبر من سنة 1906، لمديرها ورئيس تحريرها الفرنسي فيلبولير Vulpillères، وهو نفسه صاحب جريدة "le Cri d'Algérie " . كان صدورها ثلاث مرات في كل شهر، مزدوجة اللغة، أما شعارها فكان كما يلي:" صحيفة مطالب الأهالي الشرعية". كما أن أغلب الكتاب المحررين باللغة الفرنسية معروفون بدعهم للقضايا الأهلية.

التعليق رقم 3: الإسلام 1912-1914 للصادق دندان، ظهرت هذه الجريدة بعنابة في أكتوبر 1910، ثم تحولت إلى العاصمة سنة 1912، دافعت الجريدة عن حقوق المسلمين الجزائريين.

التعليق رقم 4: أسس شكيب أرسلان جريدة "la Nation Arabe " ، رفقة إحسان الجابري سنة 1930، وظلت تصدر إلى غاية 1938، وهي جريدة سياسية تهتم بقضايا الأمة العربية، وأبرزت اهتماما بالقضايا المغاربية.

المصادر والمراجع:

- محمد، بن صالح ناصر، (2006) ، الصحف العربية الجزائرية 1847 إلى 1954، الجزائر: ألفا ديزاين.

- Charles Robert Agéron, (1966), "Enquête sur les origines du nationalisme Algérien. L'Emir Khaled petit-fils d'Abd EL-Kader fut il le premier nationaliste Algérien ?", In : Revue de l'occident musulman et de la méditerranée, N° 2, 1966, pp 09-49.
- Charles Robert Agéron, (2005), les Algériens musulmans et la France 1871-1919, T2, Alger : Ed. EDIF2000.
- Christine Drouot, Olivier Vergniot, (1984), " Victor Barrucand, un indésirable à Alger ", In : Revue le l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°37, pp31-36.

- Etienne Marsan, (1912), Chronique de la politique Indigène ; Algérie", In : Revue Indigène, N°73, pp 384-416.
- Clair Maryonower, (2013), Etre socialiste dans l'Algérie coloniale; Pratiques, Cultures, et Identités dans le département d'Oran 1919-1939, Paris : Thèse de Doctorat en histoire, Institut d'études politiques.
- Gilbert Meynier, (2010), "les anarchistes Français et la guerre d'Algérie",In: https://www.socialgerie.net/IMG/pdf/2010_10_15_285_Anarchisme _Algerie.
- Gilbert Meynier, (2017), Victor Spielmann 1866-1938 ; un européen d'Algérie révolté contre l'injustice coloniale, In : Raison présente N° 203, pp 65 - 71.
- Paul Bourdarie, (1910), "L'ottomanisme et l'exode Algérien", In : Revue Indigène, N°54, pp 552-572.
- René Gallissot, (2010), Speilmann Victor, In : http://maitron-en-ligne-univ-paris1.fr. le 12/01/2014.
- Shakib Arslan, (1937), " V .Spielmann", In : la Nation Arabe, N° 14-15, Mars/ Avril 1937.
- Sylvie Thénault, (2012), Violence ordinaire dans l'Algérie coloniale, Camps, Internement, assignations à résidence, Paris, Ed. Odile Jacob.
- Victor Spielmann, (1910), "l'Exode des Indigènes", In : Annales Africaines, N°34, p 393- 394.
- Victor Spielmann, (1910), "la question indigène", In : l'écho de Bougie, N° 997, pp 01-04.
- Victor Spielmann, (1912)," la conscription des Indigènes Algériens", In : L'Islam, N°120 pp 01-04.
- Victor Spielmann, (1921), " le congrès des Colons Nord Africain à Alger", In : l'Ikdam, N° 31 , le 13 Mai, pp01-04.
- Victor Spielmann, (1921), " le 3eme congrès de l'agriculture française à Alger ; critique du rapport Vallet sur la colonisation", In : l'Ikdam, N°33, pp 01-04.

-Victor Spielmann, (1921),"critique du rapport Vallet sur la colonisation", In : l'Ikdam, N°34, le 03 Juin pp01-04.
- Victor Spielmann, (1922), "la question indigène au conseil supérieur", In : l'Ikdam, N°60, le 06 Janvier, pp01-04.
- Victor Spielmann, (1923), " Française ou Arabe que sera l'Algérie en 1950", In : Lutte social, pp 01-05.
-Victor Spielmann, (1927), "la question Indigène Algérienne", In : Alger Socialiste, N°435, le 19 Novembre, pp01-04.
- Victor Spielmann, (1930), " Expropriations des Terres Indigènes", In : Alger socialiste, N°527, le 29 Novembre, pp01-04.
- Victor Spielmann, (1930), en Algérie ; le centenaire au point de vue indigène, Alger : S.E.
- Victor Spielmann, (1936), " le gouvernement général de l'Algérie", In : l'Echo de la presse Musulmane, information des pays d'Orient, N° 19, pp 01-04.
- X, (1910), "Echos; Spielmann", In : Annales Africaines, N°22, p 254.
- X, (1932), la revue Anarchique, cahiers mensuels d'études et d'action, N°17, p 76.

للإحالة على هذا المقال:

- صبرينة الواعر، (2022)، «فيكتور سبيلمان ونضاله من أجل الجزائريين 1866-1938». **المواقف**، المجلد: 18، العدد: 01، أوت 2022، ص. ص 893-912.